الشيخ ابن عطية الغرناطي و كتابه المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز (دراسة و تقويم)

الدكتور محمد بلال حسين،
استاذ مساعد، قسم الدراسات الاسلامية جامعة راجشاهي، بنغلاديش

كان الإمام ابن عطية من كبار العلماء الأعلام في القران السادس الهجري وله شهرة عظيمة و سمعة ذائعة و شخصية لامعة على جميع المستويات من حيث أنه مفسر بارع و كتابه في التفسير منتشر و متداول بين المسلمين وبه طارت صيته في الآفاق وذاع ذكره بين الأنام شرقا و غربا فأحل الناس هذا التفسير منذ بروزه واشتهاره محل الاعتماد والإقبال و عكفوا عليه عكوفهم كالمرجع الأصلي فأصبح هذا التفسير أيضا بمحتواه و منهجه وأسلوبه أثراً سأمي القيمة عميق الغور و صعب المراس و ثرى المطاوي

اسمه و نسبه:

اسمه عبدالحق وكنيته أبو محمد أو أبوبكر ولقبه القاضي ونسبه عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبدالله بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي المالكي(ا) وقد اتفق معظم المترجمين له على هذا النسب.

ولُقّب أيضا بالألقاب كابن عطية ألغرناطي وابن عطية المالكي وابن عطية المحاربي الداخلي و أما غرناطي الأصل فيرجع الى مدينة غرناطة التي ولد فيها وترعرع وأما الأندلسي فهو نسبة إلى الوطن الكبير المشهور بالأندلس وأما المالكي فراجعة إلى

مالكي المذهب وأما القاضي فقد ولى قضاء المرية(٢) واستقام على هذا المنصب برهة من الزمان.

مولده ونشأته:

ولد ابن عطية بغرناطة في الأندلس سنة ثمانين و أربعمائة من الهجرة(٣) ذكر الحافظ الذهبي كان مولده في سنة إحدى و أربعين و أربعمائة(٤) واعتمد اكثر المترجمين على القول الأول.

نشأ أبن عطية في غرناطة و تفتح عقله مبكرا فتطلع إلى التزود بالمعرفة و الثقافة وتربى في كنف أبيه المؤقر القاضى الحافظ الذي أحاطه بأسباب العناية والرعاية ما كان سببا في تكوين شخصيته العلمية و ثقافته الإسلامية الغراء وكان منذ صغره طموحا متطلعا قد لازمه هذا الطموح حتى برزت مواهبه وعم إنتاجه وغدا شخصية علمية يشار إليها بالبنان(٥)

تعلمه و دراسته:

بدأ تعلمه الابتدائى في أسرة نبيلة و بيئة علمية تحت رعاية والده و قد اعتنى به والده ولحق به الكبار وطلب العلم و هو مراهق وكان متوقد الذكاء وأشار إليه المقرى بقوله: فتى العمر كهل العلاء، حديث السن قديم السناء سما إلى رتبة الكهول صغيرا، وشن كتيبة ذهنه على العلوم صغيرا فسباها معنى وفصلا، وحواها فرعاً واصلا(٦) وجدير بالذكر إن الإنسان كثيرا ما يتأثر بوالديه وقد يكون ثمرة من غراسهما ونبتة من بذورهما وصورة صادقة من سعيهما كذلك ابن عطية اقتفى منوال أبيه واتبع أثره في تحصيل العلم منذ صغره وكان والده لبنة أولى له لتلقينه للعلوم والمعارف فبدأت دراساته الابتدائية على أبيه لإنه كان إماما جليلا حافظا للحديث

وبطرقه وعلله و عارفا برجاله وذاكرا لمتونه ومعانيه وأديبا شاعرا لغويا متدينا فاضلا انتهت اليه رياسة العلم في زمنه(٧) فاخذ عنه الحديث وروى عنه(٨)

تعلم ابن عطية عن كبار علماء الحديث والتفسير والفقه والآداب العربية في عصره كما أخذ علم الحديث عن الحافظ أبى على الحسين الغساني وعلم الفقه عن ابى محمد عبدالرحمن القرطبي و غيرهما من عباقرة فقهاء الأندلس ثم تلقى الآداب العربية والفنون الأخرى عن الشيخ المغمور في عصره ابن البادس وغيره من علماء الأدب العربي(٩) وصرح الذهبي في كتابه إن ابن عطية روى الحديث عن الحسن بن عبدالله الحضرمي ومحمد بن حارث و محمد بن أبى غالب القروي و رأى ابن عبدالبر وحج سنة تسع و ستين و سمع عن عيسى بن أبى الجوهري و محمد بن معاذ التميمي وغيرهما(١٠)

رحل ابن عطية إلي حواضر الأندلس ومراكزها العلمية التي نشأت آنذاك في المدن والأمصار من الأندلس ولكن لم نعلم عن رحلته الخارجية لأن المؤرخين لم يشيروا إليه من قريب وبعيد وأغلب الظن أنه يحتمل أن يكون رحل إلى خارج بلاده يطلب العلم ويكسب المعارف والثقافة الإسلامية ولكن ليس لدينا دليل او مصدر تاريخي إلا نتاج ابن عطية ومعارفه وثقافته المتنوعة و براعته الفذة مما يدل على سعيه وجده وأسفاره العلمية لتحصيل العلوم والتفوق فيها وذكر بعض المؤرخين أنه رحل إلى المشرق وإلى أرض الحجاز فوقع التباس في صحة هذا القول فقيل أنه لم يسافر إلى الشرق ولكن ذكر المترجمون أن أباه القاضي أبا بكر غالب بن عطية كانت له رحلة إلى الشرق.(١١)

وفاته

اختلف في تاريخ وفاة الشيخ ابن عطية فقيل إنه توفى في ليلة خامس عشر من شهر رمضان سنة اثنين وأربعين وخمسمائة وقيل أحدى و أربعين و خمسمائة وقيل ست وأربعين و خمسمائة بمدينة لورقة اتفق معظم أصحاب التراجم على أنه توفى سنة ٥٤٦(١٢)

ثقافته العلمية

كان الإمام ابن عطية الغرناطى عالما كبيرا مشاركا في الحديث والفقه وله الباع الطويل في التفسير والنحو واللغة والأدب قال عنه العلماء في وصف براعته وبيان مهارته بقولهم كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو والأدب واللغة مقيدا حسن التقييد وكان شاعراً ناثراً ضابطا سنيا فاضلا من بيت علم و جلالة ولى قضاء المرية في محرم سنة ٥٢٩هـ فتوخى العدل والحق واعز الخطة وكان غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلاله التصرف(١٣) قال القلقشندى: ابن عطية هو نبعة دوح العلاء و محرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار كما رسا الهضاب وأدب كما اطرد السلسل العذب و شيم تتضاء ل لهل قطع الرياض وتبادر الظن به إلى شريف الأغراض سابق الأمجاد فاستولى على الامد بعباه ولم ينض ثوب شبابه ادمن التعب في السؤ در جاهد فتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن إلى راحات بكره..... له بدم(١٤)

وقد ترك لنا ابن عطية المؤلفات النافعة التى تدل على مقدرة فائقة وعبقرية فذة ومأثرته النيرة منها كتاب على تفسير القرآن الكريم سماه المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز فاحسن فيه وأجاد وأبدع وطارت به صيته كل مطار وألف برنامجا

ضمته مروياته وأسماء شيوخه وحرر وأجاد فيه(١٥)

المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز

لقد ذاع الإمام ابن عطيه في الآفاق كمفسر قدير فألف في هذا المجال كتابا قيما سماه المحرر الوجيز في تفسير القران العزيز اختلف المؤرخون في وضع اسم هذا الكتاب هل وضع ابن عطية لهذا التفسير اسما فقال معظم المؤرخين انه لم يضع لتفسيره اسما خاصا به بل علق هذا الاسم ملا كاتب الجلبي (ن ١٠١٧هـ) وهو يعد من أشهر كتب التفسير بالماثور فهو جليل الفائدة عظيم النفع وذو قيمة عالية عند جميع المفسرين و ذلك أن مؤلفه أفضى عليه من مكنوز علمه ما اضفى عليه من روحه العلمية ما اكسبه دقة و رواجا وقبولا(١٦) او قد شهد له غير واحد من العلماء فقد قال عنه السيوطى وهو كتاب قيم مفيد والحق إن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وابدع حتى طارصيته كل مطار وصار اصدق شاهد لمؤلفه بامامته في العربية و غيرها من النواحى المختلفة(١٧) وقال ابن خلدون هو تفسير مختصر للتفاسير بالمنقول ملخص لها مع العناية الفائقة في التحقيق والتمحيص والتحرى بما هو أقرب للصحة والصواب وحسن المنحى(١٨)

اعتبر العلماء هذا الكتاب مصدرا أساسياً للتفسير فان الامام ابن تيمية قارن بينه وبين تفسير الزمخشرى حتى قال: تفسير ابن عطية وامثاله اتبع للسنة والجماعة واسلم من البدعة من تفسير الزمخشرى ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير الماثورة عنهم على وجه لكان احسن واجمل(١٩) وهكذا نجد الشيخ اباحيان يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية و تفسير الزمخشرى فيقول كتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص وكتاب الزمخشرى الخص واغوص الا ان الزمخشرى قائل بالظفرة و مقتصر

من الدؤابة على الوفرة(٢٠)

وقد ثنا حاجي خليفة عليه ثناء عاطرا فقال وهو تفسير شريف جليل القدر والشان وقد تداوله فحول العلماء واثنوا عليه خيرا(٢١) هو أجل من صنف في علم التفسير وافضل من تصدر للتنقيح فيه والتفسير(٢٢)

وكان الباعث على تأليف هذا التفسير هو التقرب الى الله فقال ابن عطية في مقدمته: فلما أردت أن اختار لنفسي وانظر في علم اعد انوره الظلم رمسي سبرتها بالتنويع والتقسيم وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالا وأرسخها جبالا وأجملها آثاما و أسطعها انوأرا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل به آمين خلقه تنزيل من حكيم حميد الذى استقل بالسنة والفرض نزل به امين السماء الى امين الارض هو العلم الذى جعل للشرع قواماً واستعمل سائر المعارف خداما منه تأخذ مبادئيها وبه تعتبر نواشئها فما وافقه منها نصع وما خالفه رفض ودفع فهو عنصرها النمير وسراجها الوهاج قمرها المنير و ايقينت انه أعظم العلوم تقريبا الى الله تعالىٰ و تخليصا للنيات و نهيا عن الباطل و حضا على الصالحات إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشى في التلطف لها رويدا رجوت إن الله تعالىٰ يحرم على النار فكر عمرته.....من سائر المعارف(٢٣)

مصادر هذا التفسير

تعتبر المصادر والمراجع النواة الاولى للمفسر سواء كانت هذه المصادر يأخذ المفسر عن شيوخه او عن الكتب التى استفاد منها في كتابة التفسير نظراً الى هذا القول نحاول ان نذكر المصادر التى اتخذها ابن عطية واعتمد عليها في كتابة هذا

التفسير:

١. كتب التفسير:

قد اعتمد ابن عطية على تفسير ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) لان تفسيره هذا من اجل التفاسير بالماثور واصحها واجملها قال النووي كتاب: ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله(٢٤) وقد عده العلماء من امهات التفسير بالمأثور(٢٥) ومع اهمية تفسير ابن جرير الطبرى عند المسلمين اخذه ابن عطية كمصدر ومرجع وكان ينقل عنه كثيرا ما و يناقش الامام الطبرى فيما ذهب إليه و من هنا اتضح شخصية ابن عطية في نظر الباحثين(٢٦)

واستمد ابن عطية عن كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل والجامع لعلوم التنزيل لابي العباس احمد بن عمار المهدوى التميمى (ت ٤٣٠هـ) قال الاستاذ الدكتور عبدالوهاب فايد كان موقوف ابن عطية من هذا المرجع انه احياناً استشهد بكلام المهدوى دون ان يعقب عليه وكأنه اشار بذلك الى ان كلامه محتمل في معنى الآية وربما نقل كلامه في مناسبة الآية ثم اردفه بالتعقيب عليه(٢٧)

واعتمد ابن عطية ايضا على كتاب شفاء الصدور لابى بكر محمد بن الحسن الموصلي المعروف بالنقاش واستمد ايضا عن كتاب الهداية الى بلوغ النهاية لمكى بن ابى طالب القيسى ونقل عنه في مناسبة القواعد العربية وعلوم القرآن مما يتعلق بالآية(٢٨)

٢. كتب الحديث:

أخذ ابن عطية الحديث النبوي مصدرا أساسيا لتفسير الآيات لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول شارح لكتاب الله عزوجل فنشأ التفسير مبكرا من شخصية

الكريم صلى الله عليه وسلم (٢٩) لاجل ذلک كان ابن عطية اعتمد على كتب السنه واستفاد منها كالجامع الصحيح اللإمام البخارى (ت٢٠٦ه) والصحيح للامام مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١ه) والسنن لابى دأؤد (ت٢٧٥ه) والسنن للترمذى (ت٢٨٩ه) والسنن للنسائي (٣٠٣ه) والموطأ للامام مالک (ت١٩٧ه) وغيرها من المراجع ستقف عليها من خلال قرأة هذا التفسير الباهر النافع(٣٠)

٣. كتب الفقه:

استمد ابن عطية من كتب الفقه لبيان المسائل الفقهية عند آيات الاحكام ففى هذه المناسبة أنه اعتمد على كتب الفقه للمذاهب المختلفة خاصة المذهب المالكي حيث انه السائد آنذاک فمن أهم المصادر كتاب المدونة لابن رشد المالكى وكتاب الواضحة لعبد المالک بن حبيب السلمى (ت ١٨٣ه) و كتاب الاشراف على مذاهب اهل العلم لابى بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى (ت ٣٠٩ه) وكتاب التفريح لابى القاسم بن الجلاب (ت ٣٧٨ه) و كتاب المختصر لعبد الله بن عبدالحكيم (ت٢١٤ه) و غيرها من كتب الفقه(٣١).

٤. كتب القراء ات:

قد اعتمد ابن عطة على كتب القراء ات لبيان وجوه القراء ات المختلفة للآيات ففي هذا المجال انه استمد عن كتاب الحجة لابي على الفارسي (ت ٣٧٧ه) وقال الاستاذ عبدالوهاب: قد لاحظت ان ابن عطية في بعض نقوله عن ابى على الفارسى حيث كان احيانا يناقش الفارسى و يتعقبه في اقواله وآرائه(٣٢) وامثلة ذلک كثيرة في كتابه(٣٣) واستمد ايضا من كتاب المحتسب لابى الفتح عثمان بن جنى (ت٣٩٢ه) واكثر النقل عنه خصوصا في توضيح القراء ات الشاذة كذلک استمد من كتاب

التيسير للصيرافى (ت ٤٤٤هـ) (٣٤)

٥. كتب اللغة والنحو:

استعان ابن عطية في بيان وجوه اللغة والإعراب للآيات بكتاب معانى القرآن للفراء (ت ٢١٧هـ) ومعانى القرآن للزجاج (ت ٣١١هـ) ومجاز القرآن لابى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) واستمد ايضا من كتاب معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٨٠هـ) والمخصص لعلى بن احمد (ت ٤٥٨هـ) وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) والمقتصب لابى العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) والكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ) المجمل في اللغة لاحمد بن فارس اللغوى ٠ت ٣٩٥هـ) والفصيح لابى العباس احمد بن يحيى بن يسار الشيباني (ت ٢٩١هـ) وكتاب الاغفال لابى على الفارسى و غيرها(٣٥).

منهج ابن عطية في التفسير

وقد اتخذ ابن عطية منهجا فريدا في تفسيره فاتبع في ايراد التفسير منوال قدماء المفسرين المشتهرين بتاليف التفسير الأثرى وبيان منهجه المتبع فيما يلى:

تفسير القرآن بالقرآن:

أورد ابن عطية في هذا الكتاب آيات كثيرة، مستدلا على معنى لفظ من ألفاظ الآيات بما ورد من معناه في آيات أخرى ومثال ذلك عند تفسيره لقول الله عزوجل (اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ)(٣٦) يقول ابن عطية في معنى الهداية الواردة في الآية الكريمة والهداية في اللغة الارشاد. لكنها تتصرف على وجوه، فالهدى يجئى بمعنى خلق الايمان في القلب(٣٧) ومنه قوله تعالى (أولَئِكَ عَلى هُدَى مّنْ رَّبِّهم)(٣٨) وقوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام يهدى من يشآء الى صراط مستقيم)(٣٩) قوله تعالى (أنك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشآء)(٤٠) وقوله تعالى (ممن يرد الله أن

يهديه يشرح صدره للاسلام)(٤١)

وربما يستدل ابن عطية بالآيات على ذكر وجوه الاعراب الواردة حول اللفظ القرآني ومثال ذلك قد رأيناه يذكر الآيات المتعددة منها عند تفسير قوله تعالى (وإذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)(٤٢) يقول ابن عطية نصب العجل باتخذتم والمفعول الثاني محذوف تقديره اتخدتم العجل الها واتخذ قد يتعدى إلى مفعول واحد(٤٣) كقوله تعالى (ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا)٤٤) وقد يتعدى الى مفعولين أحدهما هو الآخر في المعنى(٤٥) كقوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة)٤٦) وكهذه الآية وغيرها.

تفسير الآيات بالحديث:

ذكر ابن عطية في هذا الكتاب كثيرا من الاحاديث ويعرض الأقوال التى واردة في تفسير الآية ما ترجيح بعضها مستنداً في هذا الترجيح إلى الآيات الكريمة وما صح من الاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلام.

اكتفى ابن عطية في ذكر الأحاديث بقوله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم او روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأما موقفه من الاحاديث الضعيفة فقد أعرض عن ذكرها و أحياناً اكتفى بالاشارة إلى الضعف من غير أن يذكر العلة وربما استشهد بالحديث الضعيف دون الاشارة الى ضعفه كما رأيناه يذكر الحديث الضعيف عند تفسير قوله تعالى (الله لا اله الاهو الحى القيوم لا تآخذه سنة ولا نوم)(٤٧) قال روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة

وامره ان يحتفظه بهما قال فجعل ينام تكاد يداه بيحث تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا ان لو كان ينام لم تستمسک السموات والأرض(٤٨) هذا الحديث ضعيف ضعفه البيهقي(٤٩) وابن كثير(٥٠) وقال الحافظ الذهبي إنه منكر(٥١).

الاهتمام بالقراء ات:

استعرض ابن عطية في هذا الكتاب القراء ات المتواترة والشاذة مع بيان ما تحتمله هذه القراء ات من المعانى وربما رجح قرأة واحدة بين القراء ات فمثلا نجده يرجح القرأة عند قوله تعالى (آلم الله لا اله الا هو الحى القيوم)(٥٢) قال قرأ السبعة آلم الله بفتح الميم والالف ساقطة روى عن عاصم انه سكن الميم ثم قطع الأليف روى الاولى التى هى كجماعة حفص وروى الثانية ابوبكر ذكرها القراء عن عاصم و قرأ ابو جعفر الم بكسر الميم للالتقاء وذلک ردى لان الياء تمنع من ذلک والصواب الفتح وهى قرأة جمهور الناس(٥٣)

وأحيانا نرى ابن عطية يجمع بين القراء ات الواردة على معنى واحد مستندا في ذلک الى اللغة والنحو كما رأيناه يجمع بين القراء ات عند قوله تعالى (يايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم مما اخرجنا لكم من الارض ولتيمموا الخبيث منه تنفقون ولم يأخذ به الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد)(٥٤) قال تيموا معناه تقصدوا وتعمدوا يقال تيم الرجل كذا كذا إذا قصده ومنه قول امرى القيس

تيمت العين التى عند ضارج يقضى، عليها الظل عرمضها طامى

ومنه التيم الذى هو البدل من الوضوء عند عدم الماء وهكذا قرأ جمهور الناس وروى عن ابن كثير تشديد التاء في واحد وثلاثين موضعاً اولها هذا الحرف حكي

الطبرى أن في قراء ة عبدالله بن مسعود ولا توموا الخبيث من أمت اذا قصدت ومنه، امام البناء والمعنى في القراء تين واحد(٥٥)

الاهتمام باللغة والنحو:

اهتم ابن عطية بذكر قواعد اللغة والنحو في تفسير الآيات فقد تعرض في هذا الكتاب إلى أصل الالفاظ واشتقاقها وبيان معانيها واوجه الاعراب فيها وكان كيثرا ما ينقل آراء النحويين من البصريين والكوفين ويتعرض لها بالترجيح والتصحيح او بالرد او التضعيف واكثر من الشواهد الشعرية في أغراض مختلفة و مقاصد متعددة وكما انه ذكر في مواضع كثيرة من تفسيره آراء اللغويين في اشتقاق الألفاظ القرآنية الكريمة وساقها بتمامها ومثال ذلك كثيرة منها نجد ابن عطية يذكر آراء اللغويين عند تفسير قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم و نوحا وآل ابرآهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض)(٥٦) فقال في تحقيق لفظة ذرية ان الناس كلهم ذرية بعضهم لبعض وهكذا استعملت الذرية في قوله تعالى (ان حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون)(٥٧) اى ذرية هذا الجنس ولا يسوغ ان يقول في والد هذا ذرية لولده واذ اللفظة من ذر اذا بث فهكذا يجئى معناها و كذلك ان جعلناها من ذرى وكذلك ان جعلت من ذرا او من الذر الذى هو صغار النمل قال ابو الفتح الذرية يحتمل ان تكون مشتقة من هذه الحروف الاربعة وقال الزجاج اصلها فعيله من الذر لان الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر واصل ذرية ذرورة وزنها فعلولة فلما كثرت الراء ات ابدلوا من الاخيرة يأء فصارت ذروية ثم أدغمت الواو في الياء فجاء ت ذرية(٥٨)

العناية بذكر الاحكام الفقهية:

لقد اهتم ابن عطية بالأحكام الفقهية كأساس قام عليه منهجه في التفسير

واقتصر على ذكر آراء المالكية في المسألة الفقهية الواحدة وضرب صفحا عن مناقشة ادلتها وربما يعقبها بالرد معتمدا في ذلك على القياس وعمل الصحابة والحديث الشريف متوخيا من ذلك اصابة الحق والوقوف بجانب الصواب مثلا يقول ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى (يسألونك عن الميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما)(٥٩) اجمعت الامة على ان خمر العنب اذا غلت و رمت بالزبد انها حرام قليلها وكثيرها وان الحد واجب في القليل منها والكثير وجمهور الامة على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب فمحرم قليله و كثيره والحد في ذلك واجب وقال ابو حنيفة وسفيان الثوري وابن ابى ليلى و ابن شبرمة و جماعة من فقهاء الكوفة ما اسكر كثيره من غير خمر العنب فما لايسكر منه حلال واذا سكر احد منه دون ان يعتمد الوصول الى حد السكر فلا حد عليه وهذا قول ضعيف يرده النظر وابوبكر الصديق و عمر الفاروق والصحابة على خلافه و روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام وما اسكر كثيره فقليله حرام قال ابن المنذر في الاشراف لم يبق هذا الخبر مقالة لقائل ولا حجة لمحتج(٦٠)

الأخذ بالإسرائيليات:

ذكر ابن عطية في هذا التفسير الروايات الإسرائيليات ولكنها قليلة جدا من التفاسيرالاخرى ولم يعتمد عليها كما رأيناه يحدد موقفه من هذه الروايات في مقدمة تفسيره اذ يقول و قصدت فيه ان يكون جامعا و جيزا محررا لا اذكر من القصص الا ما تنفك الآية الابه(٦١) و بمقتضى كلامه هذا فقد كان يرى ضرورة الاضراب عن الروايات الإسرائيليات الا في نطاق محدود.

ذكر ابن عطية في مواضع كثيرة من تفسيره الإسرائيليات واكتفي بذكر روايتها مختصرة من غير تطويل أو بالإشارة إليها من غير ذكرها معقبا بعد ذلك كله بالنقد والرد والتضعيف ملتزما بالمنهج الذى رسمه وهو ان يكون تفسيره محررا و جيرا(٦٢) كما رأينا ابن عطية يذكر الإسرائيليات عند تفسير قوله تعالى (او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم يبعثه)(٦٣) روى في قصص هذه الآية ان بنى اسرائيل لما احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت النصر البابلى فقتلهم و جلاهم من بيت المقدس فخربه فلما ذهب عنه جاء أرميا فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحى هذه الله بعد موتها؟ قال فاماته الله تعالى وكان معه حمار قد ربطه بحبل حديد وكان معه سلة فيها تين وهو طعامه قيل تين وعناب وكان معه ركوة من خمر و قيل من عصير و قيل قلة ماء هى شرابه وبقى ميتا مائة عام فروى انه بلى وتفرقت عظامه هو و حماره وروى انه بلى دون الحمار وان الحمار بقى حيا مربوطا لم يمت ولا أكل شيئًا ولا بليت رمته وروى أن الحمار تبلى وتفرقت او دون عزير وروى ان الله بعث الى تلك القرية من عمرها ورد اليها جماعة بنى إسرائيل حيث كملت على رأس مائة سنة و حينئذ عزير حى وروى ان الله رد عليه عينيه وخلق له حياة يرى بها كيف تعمر القرية ويحى مدة من ثلاثين سنة بكملة المائة لانه بقى سبعين ميتا كله وهذا كله ضعيف ترد عليه الفاظ الآية(٦٤)

الخاتمة

كان الشيخ ابن عطية من أبرز المفسرين ألاندلسين الذين كان لهم دور عظيم وموقف جليل في ممارسة التفسير بالاندلس وكتابه المسماة المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ولاشك انه التفسير بالمأثور وقدحظى هذا التفسير مكانة عالية مما دفع العلماء أن يصرحوا بما لا يستطيعون كتمانه بعد الوقوف والاطلاع على ما حوى ولم يزل هذا التفسير الباهر المفيد مخطوطا الى الزمان الطويل فقام العلماء والباحثون بتحقيقه وطبعه حتى نجده الآن في بطون الأوراق والحمد لله حمدا كيثرا لاصدار هذا الكتاب كى تستطيع الامة الاسلامية لفهمه والعمل به.

الهوامش

١. الحافظ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المجلد التاسع العشر (بيروت: موسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ص:٥٨٦: احمد بن محمد الاندوى، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزاعى (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧هـ)، ص:١٧٥: ابن بشكوال، كتاب الصلة، الجزء الاول (القاهرة:مكتبة الخانجي، ب.ت)، ص:٣٦٧.٧٦٧.

٢. طبقات المفسرين، ص:١٧٦.

٣. نفس المصدر.

٤. سير أعلام النبلاء، المجلد التاسع عشر، ص:٥٨٧.

٥. مصطفى ابراهيم المثينى، مدرسة التفسير في الاندلس، (بيروت: موسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص:٩٢.

٦. لسان الدين ابن الخطيب المقرى، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المجلد الثالث (بيروت:دارالكتب العربى، ب.ت) ص:٢٨١.

٧. مقدمة تفسير المحرر الوجيز، ص:٢٦.

٨. سير أعلام النبلاء، الجزء التاسع عشر، ص:٥٨٦.

٩. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: د.محمد احمدى ابو النور، الجزء الثانى (القاهرة: مكتبة دار التراث، ب.ت)، ص:٥٧.

١٠. سير أعلام النبلاء، المجلد التاسع عشر، ص:٥٨٨.

١١. نفح الطيب، الجزء الثالث، ص:٢٧٧.

١٢. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، المجلد الثالث (بيروت: دار احياء التراث العربى)، ص:٥٩، كتاب الصلة، المجلد الاول، ص:٣٦٨: جلال الدين السيوطى، بغية الوعاة، المجلد الثانى (مصر: المكتبة المصرية، ب.ت) ص:٧٣، الكتبى، قوات الوفيات، المجلد الثانى (بيروت: دار الثقافة)، ص:٢٥٦: لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة فى اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان (القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٣٩٥ه)، ص: ٥٤١.

١٣. الاحاطة، الجزء الثالث، ص:٥٣٩: قوات الوفيات، الجزء الثانى، ص:٢٥٦ة الديباج المذهب، الجزء الثانى، ص:٥٧.

١٤. القلقشندى، قلائد الجمان فى التعريف بقبائل الزمان، تحقيق: الاستاذ ابراهيم الايسارى (بيروت:دار الكتب اللبنانى، ١٩٨٢)، ص:٢٦٠.

١٥. مقدمة المحرر الوحيز، ص:٣٤.

١٦. مدرسة التفسير فى الاندلس، ص:٩٥: د. حسين الذهبى التفسير والمفسرون، الجزء الاول (بيروت:دار احياء التراث العربى (ب.ت)، ص:٢٤٠.

١٧. بغية الوعاة، الجزء الاول، ص:٢٩٥.

١٨. ابن خلدون، المقدمة (مصر: مطبعة مصطفى محمد، (ب.ت)

ص ۴۳۹. ۴۴۰.

۱۹. الامام ابن تيمية، مقدمة فى اصول التفسير (القاهرة: المطبعة السلفية، ۳۹۹ھ)، ص: ۳۹.

۲۰. ابوحيان، البحر المحيط، الجزء الاول (بيروت: دار الفكر، ب.ت) ص: ۲۱.

۲۱. حاجى خليفة، كشف الظنون، المجلد الثانى (بيروت: دار احياء التراث العربى، ب.ت) ص: ۱۶۱۳.

۲۲. طبقات المقسرين، ص:۱۷۶۔

۲۳. مقدمة المحرر الوجيز، ص:۳۴.

۲۴. د. عبدالله بن ابراهيم الوهيبى، "التفسر بالأثر والرأى وأشهر الكتب فيهما" مجلة البحوث الاسلامية، العدد السابع، ۱۴۰۳، ص:۲۱۳.

۲۵. د. عمر الاسعد، "الطبرى المفسر" الامام الطبرى، الجزء الثانى (أيسسكو: منشورات المنظمات الأسلامية، ۱۹۹۲)، ص:۱۳۹.

۲۶. التفسير والمفسرون، الجزء الاول، ص:۲۳۰: مقدمة المحرر الوجيز، ص:۲۰ مناع القطان، مباحث في علوم القران (الرياض: مكتبة المعارف ب.ت) ص:۳۶۰.

۲۷. مقدمة المحرر الوجيز، ص ۲۱.

۲۸. نفس المصدر.

۲۹. ابتسام مرهون الصفار، معجم الدراسات القرآنية (بغداد: جامعة بغداد ۱۹۸۴م)، ص:۱۰.

۳۰. مقدمة المحرر الوجيز، ص:۴۱.

۳۱. نفس المصدر: ۴۳.

۳۲. نفس المصدر:۴۴.

۳۳. انظر: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز.

۳۴. مقدمة المحرر الوجيز، ص: ۲۲. ۲۳.

۳۵. نفس المصدر.

۳۶. سورة الفاتحة: ٦.

۳۷. المحرر الوجيز، المجلد الاول، ص: ۱۴۰. ۱۴۱.

۳۸. سورة البقرة: ۵

۳۹. سورة يونس: ۲۵.

۴۰. سورة القصص: ۵٦

۴۱. سورة الانعام: ۱۳۵.

۴۲. سورة البقرة: ۵۱.

۴۳. المحرر الوجيز، المجلد الاول، ص: ۱۷۴.

۴۴. سورة الفرقان: ۲۷.

۴۵. المحرر الوجيز، المجلد الاول، ص: ۱۷۴

۴٦. سورة المنافقون: ۲.

۴۷. سورة البقرة: ۲۵۵.

۴۸. المحرر الوجيز، المجلد الثانى، ص: ۲۷۵

۴۹. القرطبى، الجامع لاحكام القرآن، المجلد الثالث (مصر: دار الكتب المصرية ۹٦۷م) ص: ۳۷۳

۵۰. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الاول (بيروت: دار المعرفة ب.ت)، ص: ۴۵٦.

۵۱. ابو عبدالله بن احمد الذهبى، ميزان الاعتدال، المجلد الاول (مصر: عيسى البابى الحلبى واولاده ۱۹٦) ص: ۲۷٦.

٥٢. المحرر الوجيز، المجلد الثالث، ص:٧.

٥٣. سورة البقرة:٢٦٧

٥٤. المحرر الوجيز، المجلد الثانى، ص:٣٢٤.

٥٥. سورة آل عمران: ٣٣.٣٤.

٥٦. سورة يس : ٤١.

٥٧. المحرر الوجيز، المجلد الثالث، ص:٦٣.

٥٨. سورة البقرة: ٢١٩.

٥٩. المحرر الوجيز، المجلد الثانى، ١٦٧.

٦٠. مقدمة المحرر الوجيز، ص: ٣١.

٦١. مدرسة التفسير في الاندلس، ص:٥٥٠

٦٢. سورة البقرة: ٢٥٩.

٦٣. المحرر الوجيز، المجلد الثانى، ص:٢٩٢.